

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه الله

[الباب الثاني في الصيام]

[فضله]

١- [روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل كل عمل ابن ادم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه " متفق عليه

وقوله : " فلا يرفث بضم الفاء وكسرهما ، أي: لا يأتي يرفث الكلام وفحشه ،

قال الأزهري : هي كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ويكون الرفث الجماع ، ويكون ذكر الجماع والحديث به ، وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء

ولا يصخب ، الصخب ،:الصياح واختلاط الأصوات ويقال بالسين والصاد ،

وخلوف فم الصائم -بضم الحاء- هو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة [.

الشرح..

يقول الحافظ عبدالعظيم المنذري رحمه الله [الباب الثاني في الصيام]

يعني هذا الباب الثاني في فضائل الأعمال وهو فضل الصيام ، والصيام من القرب العظيمة والطاعات الجليلة وهو سر بين الصائم وبين ربه تبارك وتعالى وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم ورغب فيه وبين عظيم أجره وما فيه من تكفير للذنوب ورفعة للدرجات

وفي هذا الباب جاءت أحاديث كثيرة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ساق المصنف رحمه الله طرفاً منها .
بدأ بمحدث أبي هريرة في فضل الصيام ، وهذا الحديث من أجمع الأحاديث المروية عن نبينا صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل الصيام وفوائده فإنه حديث جامع لفضائل عظيمة وفوائد كثيرة يجنيها الصائمون وهو حديث قدسي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى قال صلى الله عليه وسلم
[قال الله عز وجل " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام] أي جميع أعمال بني آدم لابن آدم [له] أي لابن آدم للعامل .

قال [إلا الصيام] انظر هذه الفضيلة للصيام ما أعظمها وما أكبر شأنها حيث اختص الله الصيام من بين سائر الطاعات بقوله الا الصيام فإنه لي .

قال [وأنا أجزى به] العبادات كلها يجزي الله بها ويثيب عليها صاحبها لكن هذا تنبيه لما في الصيام من خصوصية عظيمة ومكانة رفيعة وثواب مضاعف ولهذا في رواية الحديث عند مسلم في كتابه الصحيح جاء بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به "

أعمال العبد وطاعاته المتنوعة مضاعفة الثواب، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ثم استثني الصيام
" **قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به** "، قيل لهذه الخصوصية للصيام بأن المضاعفة له فوق ذلك بأضعاف كثيرة وبغير حساب لان الصيام صبر عظيم والصابر يوفى أجره بغير حساب وقد جمع الصيام أنواع الصبر الثلاثة .. الصبر على الطاعة و الصبر عن المعصية والصبر على أقدار الله المؤلمة

بل صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر لما بين الصيام والصبر من صلة وثيقة "صيام شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر" فسماه شهر الصبر،

فالصيام له خصوصية عظيمة في الصبر، الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أقداره تبارك وتعالى المؤلمة إضافة لما فيه من تهذيب للنفس وتزكية للقلوب وتقوية للإيمان وتحقيق للتقوى قال الله (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

قال [قال الله كل عمل ابن ادم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به] عرفنا أن قول الله الا الصيام فإنه لي يفيد خصوصية عظيمة للصيام من بين سائر الطاعات والعبادات لان الله شرف هذه العبادة بهذا الاختصاص

قال [والصيام جنّة] والحديث جمع بين الحديث القدسي والحديث النبوي يعني ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حديثه هذا من كلام الله وهو حديث القدسي وذكر أيضاً فيه من كلامه هو فيما يبلغه عن ربه تبارك وتعالى .

[والصيام جنّة] وهذا ثمرة عظيمة من ثمار الصيام وفائدة كبيرة من فوائده العظيمة أنه جنّة ؛ ومعنى جنّة : أي وقاية وستر ، جنّة للصائم من الآثام والذنوب وجنة له من النار وسخط الجبار .. وكل من الأمرين مترتب على الآخر فإن اتقاء العبد للذنوب ومباعدته عنها واجتنابها لها موجب لوقايتها من النار وسلامته من سخط الجبار .. فالصيام جنة للعبد من هذا وهذا ؛ فالصيام جنة له من الذنوب لما فيه من تزكية للقلب وتهذيب للنفس وتربية على الفضائل ومعونة للنفس على البعد عن الرذائل وأيضاً جنة من النار وسيأتي معنا ما في الصيام من المباحة وأن " من صام يوماً لله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً "

ولعله والله أعلم لهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما وجّه إليه الشباب

قال " من استطاع منكم الباءة فليتزوج فمن لم يستطع فعليه بالصيام فإن له وجاء " أي واقى ، وما في الصيام من تهذيب وتزكية وتطيب للقلوب أعظم وقاية للعبد من اقتراف الذنوب وارتكابها لاسيما من يصوم ويفقه الصيام ويعمل على تحقيق ما في الصيام من تربية لنفسه ، فإنه اذا صام يوماً عن طعامه وشرابه وشهوته قربة لربه وطاعة لمولاه ورجاء ثوابه وخوفاً من عقابه فإنه يعينه صيامه الذي هو في النهار على الصيام الدائم الذي لا يختص بنهار ولا ليل ولا يختص بشهر دون شهر أو يوم دون يوم وإنما هو صيام دائم مطلوب من المسلم في ليليه وأيامه وشهوره وأعوامه وأوقاته كلها إلى أن يتوفاه الله وهو الصيام عن المحرمات وهذا الصيام واجب وهو مستمر ودائم ،

هناك صيام للسمع و هناك صيام للبصر واليد والقدم واللسان صيام دائم مطلوب من العبد يصوم لسانه عن الكلام المحرم وقدمه عن المشي الى الحرام وبصره عن الحرام وسمعه عن الحرام ، والصيام فرضه ونفله الذي يكون عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الشمس الى غروبها معونة للعبد على الصيام الدائم لأنه يمتن النفس ويدربها على لزوم طاعة الله والانتهاز عما حرم الله وانظر هذا في حديثنا هذا كيف أن الصيام يربي ويهذب قال [**والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم**] وهذا فيه التنبيه على ما في الصيام من التهذيب والتربية وأن الصائم ينبغي أن يستغل صيامه على تهذيب نفسه وتمرينها على الفضائل وترك المحرمات .

كما قال صلى الله عليه وسلم [**إذا كان يوم صوم أحدكم**] أي خذوا هذا اليوم مأخذ الاهتمام فلا يمر مرور عادي بحيث تشرع مع الصيام بتهذيب النفس

قال [**فإن سابه أحد أو قاتله**] فإن سابه أحد أي بدأه بالمسابة واللعن والشتم أو المقاتلة والاعتداء فليدفعه بهذه الكلمة

[**فليقل إني صائم**] وقول هذه الكلمة في هذا المقام مفيد من جهتين : مفيد للصائم نفسه أن يذكر نفسه أنه في صيام وأن الصيام مقام رفيع ؛ أرفع من أن يخوض وهو صائم في محاصمة ومقاتلة ، ومن جهة أخرى لهذا الذي يقاتله يقول له إني صائم حتى يذكره بهذه العبادة وشرف العبادة التي هو عليها ليحترمها ويبعد عن أذية من هو مشتغل بها ثم يقسم نبينا عليه الصلاة والسلام بالله في بيان فضيلة من فضائل الصيام

قال [**والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك**] خلوف فم الصائم المراد به الرائحة الكريهة التي تنبعث من جوفه ومن فمه ولاسيما آخر النهار، وهذه الرائحة مستكرهة عند الناس أطيب عند الله من ريح المسك . لان هذه الرائحة تولدت من عبادة عظيمة محبوبة لله عظيمة الشأن عند الله ومر معنا قول الله في الحديث " والصيام لي " فهذا الأثر الذي ترتب وتولد عن هذه العبادة الجليلة شأنه عند الله كما أخبر صلى الله عليه وسلم مقسما بالله أنه أطيب عند الله من ريح المسك .

قال [**وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**]

فالصائم له فرحتان؛ فرحة في الدنيا وفرحة في الآخرة؛ الفرحة التي في الدنيا عقب الصيام يفرح أنه أتم هذه العبادة وأكملها وجاء بها تامة فاهو أتم صيامه وأفطر فيفرح بها بفطره؛ وفرحه بفطره لأمرين الأول : لإتمام العبادة التي وفقه الله لإتمامها وإكمالها

الثاني : لتناوله هذا الذي أباحه الله له على إثر صيامه وعن حاجة لطعامه وقد اشتد به العطش والجوع وهو صابر محتسب فاذا أفطر يفرح بفطره ويفرح بإتمام العبادة فهذا فرح دنيوي والفرح الآخروي يفرحه يوم يلقى الله بما يناله على الصيام من أجر وثواب جزيل يوقاه الصائم يوم القيامة يناله بغير حساب .

ثم ذكر المصنف رحمه الله شرحاً لبعض ألفاظ الحديث

قال [فلا يرفث بضم الفاء وكسرهما أي لا يأتي برفث الكلام وفحشه]

لا يرفث : أي عليه أن يتعد وقت الصيام عن الكلام الفاحش والبذيء وهذا الفحش والبذاءة مطلوب من المسلم أن يجتنبه في كل حين لكن الأمر في الصيام أعظم والاجتناب في الصيام أوثق وأؤكد .

قال الأزهري - وهو صاحب كتاب تهذيب اللغة وهو من أحسن الكتب وأجودها في هذا الباب وصاحبه إضافة لإمامته في اللغة إمام في السنة والمعتقد-

[هي كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة]

يعني الجماع ومقدمات الجماع يشمله هذا اللفظ الرفث.

قال [ويكون الرفث الجماع]

قال الله " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم "

قال [ويكون ذكر الجماع والحديث به]

عندكم ذلك وهو تصحيف مطبوعي قوله ويكون أي الرفث ذكر الجماع والتحدث به

قال [وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء]

أي مذاكرة المرء ذلك مع أهله وهذه المذاكرة له تهيجه وتثيره هذا ما قيل في معنى الرفث .

قال [ولا يصخب : الصخب : الصباح واختلاط الأصوات]

أيضاً هذا اللجج والأصوات العالية ورفع الصوت كما أنه منهي عنه في كل وقت " واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " كما أنه منكر في كل وقت إلا أنه في وقت الصيام أشد نكارة وقوله لا يصخب يقال بالسين والصاد يعني لا يسخب ولا يصخب ولفظ الحديث في مسلم بالسين لا يسخب .

قال [واخلوف فم الصائم بضم الخاء هو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة]

وهذه الرائحة مستقدرة عند الناس لكن مر في ذكر ثوابها عند الله أنها أطيب عند الله من ريح المسك .

٢- [وروى سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن في الجنة باباً

يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق ، فلم يدخل منه أحد " متفق عليه

قوله باب الريان واختصاص الصائمين به قيل هو مشتق من الريّ لما ينال الصائم من العطش فسمي هذا الباب بما أعد فيه من النعيم المجازي به على الصوم]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث ؛ انظر لهذا التشويق النبوي

[إن في الجنة باباً يقال له الريان] عزّفهم أولاً أن في الجنة باباً يقال له الريان وما من شك أن السامع

الناصح لنفسه اذا سمع ذلك تشوقت نفسه إلى معرفة موجب الدخول من هذا الباب ويسمى بالريان ،

وسمي بهذا من الري ضد العطش ، وقد أعدّه الله للصائم من جنس عمله لما عطّش نفسه لله وطلباً لثوابه

جزاه الله بالدخول من باب الري ؛ الباب الذي يسمى الريان خص به أهل الصيام ولا يدخل منه الا

الصائمون

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم خصوصه بهم مرتين

قال: لا يدخل منه الا الصائمون ، ثم قال :لا يدخل معهم أحد غيرهم هذا تأكيد للمعنى الأول وأنه باب خاص بهم .

قال [يقال أين الصائمون فيدخلون منه] يدعون للدخول من هذا الباب .

قال [فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد]

ولفظ البخاري " فإذا دخلوا أغلق " وهذا فيه تأكيد اختصاص هذا الباب للصائمين .
قال المصنّف [باب الريان واختصاص الصائمين به ، قيل: هو مشتق من الري لما ينال الصائم من العطش فسُمّي هذا الباب بما أعد فيه من النعيم المجازي به على الصوم]

وهو جزاء من جنس العمل كما أنه عطّش نفسه في صيامه طلباً لمرضات ربّه جازاه الله من جنس عمله فأدخله من هذا الباب المبارك -جعلنا الله بمنه وكرمه من الداخلين من هذا الباب-

٣- [وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً " متفق عليه، والخريف السنة]

الشرح..

ثم ختم فضائل الصيام عموماً بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً]

انظر هذه الفضيلة للصيام ما أعظمها في هذا الحديث صيام يوم واحد يباعده له وجهه عن النار سبعين خريفاً فكيف من وفق وأكثر منه وتخصيص الوجه بالذكر لشرف الوجه وإذا حصلت المباعدة للوجه فهي حاصلة للبدن كلّّه ؛ لكن خص بالذكر لشرف الوجه ،

والخريف: أي السنة يعني يباعده وجهه عن النار سبعين سنة وهل العدد مفهوم أم لا مفهوم له ويراد به التكثير أي باعده مباعدة شديدة عن النار .. من أهل العلم قال هذا العدد له مفهوم؛ أي له مراد . ومنهم من قال لا مفهوم له وإنما المراد به التكثير ولاسيما ما كان منه هذا العدد السبعين والسبعمائة

ونحو ذلك لكثرة ذكره عند العرب ويراد به التكثير ومنه قول الله تعالى " إن تستغفر لهم سبعين مرة " .
وقوله [في سبيل الله] اختلف أهل العلم في المراد بقوله في سبيل الله، فمن أهل العلم من قال أن المراد بقوله في سبيل الله : أي الجهاد والمعنى أن من صام يوماً في الجهاد وهو مجاهد . ولهذا أورد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح في كتاب الجهاد ، فمن أهل العلم من يرى أن المراد بقوله في سبيل الله يعني من صام في الجهاد في سبيل الله ، وأيضاً قالوا إنه محمول على عدم الضرر، تضرر المرء بذلك وأن لا يؤثر على نشاطه في الجهاد وقتال العدو أما اذا كان يؤثر على القتال ومقاتلة العدو ونشاطه فإنه مطلوب منه الفطر حتى يتقوى على مقاتلة الأعداء فهذا محمول على ما لم يكن سبباً في إضعافه وإضعاف قوته على مجاهدة الأعداء ، **والقول الآخر** أن المراد بقوله في سبيل الله أي في طاعة الله والتقرب إليه وطلب ثوابه ومن أهل العلم من قوّى هذا القول في معنى هذا الحديث ؛

نقل لي أن الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله يقوّى هذا القول - لم أقف عليه في شيء من كتبه فلعلّ الأخوة يبحثون عن ذلك ويتحفظوننا من كتب الشيخ مباشرة سواء مما جمع من فتاواه أو مصنفاته^(١) .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

(١) قوّى هذا القول الشيخ ابن باز في شرحه لعمدة الأحكام .